(٤٣) خطبة له ﷺ فى ضرورة الأخذ بكتاب الله، والتذكير بأهل بيته رضوان الله عليهم، والتعريف بهم

عن يزيد بن حيان، قال: انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمرو بن مسلم إلى زيد بن أرقم ﷺ، فلما جلسنا إليه قال حصين:

لقد لقيتَ يا زيد خيراً كثيراً، رأيتَ رسول الله ﷺ، وسمعتَ حديثه، وغزوتَ معه، وصلّيتَ خلفه، لقد لقيتَ يا زيد خيراً كثيراً، حدِّثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله ﷺ؟ . .

قال: يا بن أخى، والله لقد كبرتُ سنّى وقدم عهدى ونسيت بعض الذى كنت أعى من رسول الله ﷺ، فما حدثتكم فاقبلوا، وما لا: فلا تكلِّفونيه، ثم قال:

قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعى «خما» بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكَّر، ثم قال:

«أما بعد، ألا أيُّها النَّاس ... فإنَّما أنا بشرٌ يوشكُ أنْ يأتىَ رسولُ ربِّى فأجيبُ، وأنَا تاركٌ فِيكُم ثَقَلَين: أوَّلُهما كتابُ الله فيه الهُدَى والنُّور، فخُذُوا بكتابِ اللهِ واسْتَمْسِكُوا بهِ». فحثَّ على كتاب الله ورغَّب فيه، ثم قال:

«وأَهْلُ بَيتى، أذكّركم اللهَ فى أهلِ بيتى، أذكّركم اللهَ فى أهْلِ بيتى».

فقال حصين : ومَنْ أهل بيته يا زيد، أليس نساؤه من أهل بيته ؟ . قال : نساؤه من أهل بيته ، ولكن أهل بيته من حُرِمَ الصدقةَ بعده . قال : ومن هم ؟ . قال : هم آل عليٍّ ، وآل عقيل ، وآلَ جعفر ، وآل عباس . قال : كل هؤلاء حُرِمَ الصدقة؟ . قال : نعم .

(رواه مسلم)

وفى رواية : **«ألاَ وإنِّى تاركٌ فيكُم ثَقلين: أحدهما كتابُ اللهِ وهو حَبْلُ اللهِ، مَنِ اتَّبعه كانَ علَى الهُدَى، ومَنْ تَرَكَهُ كانَ علَى ضَلالة»** .

فى هذه الخطبة ـ كما قرأنا ـ يخبر الرسول ﷺ أصحابه بأنه يوشك أن يلبى نداء ربه وأنه بعد أن يأتيه رسول ربه فيجيبه : سيترك فيهم ثقلين :

أحدهما: كتاب الله فيه الهدى والنور .

وثانيهما: أهل بيته ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وهم : آل عليٍّ ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل عباس ـ عليهم جميعاً رضوان الله ، وكذلك نساؤه ـ عليهن رضوان الله .

والمراد ، هو : العمل بكتاب الله تعالى وتنفيذه فى كل مراحل حياتنا ، وفى جميع معاملاتنا ، وذلك هو التوفيق المبين .

وأما عن أهل بيته ، فالمراد إكرامهم ومناصرتهم ، فقد ورد فى الحديث الشريف :

عن ابن عمر ﷺ، عن أبى بكر الصديق ﷺ - موقوفاً عليه - أنه قال:

«ارْقُبوا مُحَمَّداً ﷺ فى أَهْلِ بَيتِه».

(رواه البخارى)

قال فى «رياض الصالحين»: معنى ارقبوه: راعوه، واحترموه، وأكرموه.

وكل هذا لن يكون إلا بالحب الصادق لهم، بمعنى أن يكون حبنا لهم حبّاً إيجابيّاً، لا سلبيّاً، وهذا يتطلب أن يُهتدَى بهم ويُقتدَى بفعالهم، لأنهم تتلمذوا على رسول الله ﷺ وتخرّجوا فى مدرسته، فضلاً عن أنهم من أهل بيته.

أما أن يكون الحب هذا زعماً أو ادعاء، فإنه لن يكون له صلة برسول الله ﷺ، ولا أهل بيته، لأن أهم ما يمتُّ إلى هذه الصلة هو الاقتداء بهم والتخلُّق بأخلاقهم النبيلة.

فلنلاحظ كل هذا، ولنكن من المتمسكين بكتاب الله، والمحبين لأهل بيت رسوله - صلوات الله وسلامه عليه - بهذا المعنى الذى وقفنا عليه.. حتى نُحشَر معهم ونكون من الذين أكرمهم الله تعالى بحبهم.

وحسبنا إن فعلنا ذلك - إن شاء الله - أننا سنكون من الذين عرفوا قَدْرَ رسول الله ﷺ، وقَدْرَ أهل بيته الغُرِّ الميامين ﷺ أجمعين.

* وعن أبي شُريح الخزاعي قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال:

«**أليسَ تَشهدونَ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وأنِّي رسولُ اللهِ**» ؟. قالوا: بلى. قال: «**إنَّ هذا القرآنَ طرَفُه بيدِ اللهِ، وطَرفه بأيديكُم؛ فتمسَّكوا بهِ فإنَّكُم لنْ تَضِلُّوا، ولنْ تَهلكوا بعدَه أبداً**».

-(رواه الطبراني في الكبير بإسناد جيد)

* وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قال:

«**الاقتصادُ فِي السُّنَّة أحسنُ مِنَ الاجتهادِ فِي البِدْعَةِ**».

(رواه الحاكم موقوفاً وقال: إسناده صحيح على شرطهما)

اللهُمَّ صَلِّ على محمدٍ النبيِّ الأمين، وأزواجه أمهات المؤمنين، وذُرِّيَّته، وأهلِ بيته، كما صلَّيتَ على إبراهيمَ، وعلى آلِ إبراهيمَ.. إنك حميد مجيد.. آمين.. آمين.. آمين.

* * *